

انتصارات إسلامية

معركة حارم.. مفخرة نور الدين الشهيد

في الحادي والعشرين من رمضان سنة 559 هـ انتصر المسلمون على الفرنجة في معركة حارم، بقيادة نور الدين محمود زكي، الملقب بالشهيد.

أذن الله لأمة الإسلام أن لا تزول ما دامت السموات والأرض، مهما بلغ بها من الضعف والهوان، وذلك بأن يبني الله لها رجالاً يحملون الراية ويسيرونها إلى بر الأمان، ثم تنتكس بعد ذلك وتعود الكرة، وكما قال تعالى: «وإن عدتم عدنا»، فهي السنن سارت على أمة السابغة وتسير على أمة الإسلام. ومن هؤلاء القادة العلماء الذين أضاعت بهم سماة أمة الإسلام القائد المجاهد نور الدين محمود زكي.

لم يعبأ نور الدين بهزيمة أمام الفرنجة سنة 558 هـ، في معركة البقعة، التي باعته فيها وأوقعوا بالمسلمين مقتلة عظيمة وهم آمنون، حيث هجم عليهم

الفرنجة حتى قبل أن يتكثروا من ركوب الخيل أو أخذ السلاح، وأكثروا فيهم القتل والأسر، فنزل نور الدين عند بحيرة «قدس» بالقرب من حمص في موضع يبعد أربعة فراسخ عن مكان المعركة، ولحق به من نجا من الجند حتى اجتمعوا به. فقال يومئذ: «والله لا أستظل بسقف حتى أخذ بثأري وثأر الإسلام».

كان الفرنجة قد عزموا على التوجه إلى حمص بعد انتصارهم؛ لأنها كانت أقرب البلاد إليهم، ولما

بلغهم نزول نور الدين بينما وبينهم قالوا: لا يفعل هذا إلا وعنده قوة يمنعنا بها، فراسلوه يطلبون منه الصلح، فلم يجيبهم فعادوا إلى بلادهم. بعد ذلك بدأ نور الدين بتحجيز قواته، استعداداً لمواجهة الفرنجة والأخذ بالثأر، واتخذ جميع الأسباب المادية والمعنوية من التحجيز والإعداد، وتهيئة نفوس المجاهدين عن طريق العلماء والدعاة.

جاء في كتاب «الكامل في التاريخ»



لابن الأثير 308/9: «في هذه السنة، في شهر رمضان، فتح نور الدين محمود بن زكي قلعة حارم من الفرنج؛ وسبب ذلك أن نور الدين لما عاد منهزماً من البقعة، تحت حصن الأكراد، كما ذكرناه قبل، فرح الأموال والسلاح، وغير ذلك من الآلات، فعاد العسكر كأنهم لم يصابوا وأخذوا في الاستعداد للجهاد والأخذ بثأره». وفي العام التالي خرج الفرنجة من «عسقلان» لقتال أسد الدين شيركوه بصر، فاستغل نور الدين فرصة

خروجهم، وراسل الأمراء يطلب العون والنصرة، فجاؤوا من كل فج، وطلب من العلماء أن يحثوا المسلمين على الجهاد في سبيل الله. فلما اجتمعت الجيوش سار نحو «حارم»، وهو حصن في بلاد الشام من جهة حلب، في شهر رمضان من هذه 559 هـ، فحاصرها ونصب المجانيق عليها، ثم تابع الزحف للقاء الفرنجة، الذين تجمعوا قريباً من الساحل مع أمرائهم وفرسانهم بزعامة أمير أنطاكية.

بلاد في القرآن

ورد ذكرها في القرآن 13 مرة

بيت المقدس.. البلدة الوحيدة على الأرض التي سماها رب العزة



عاماً، وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت منذ نشأتها صحراء خالية من أودية وجبال، وقد كانت أولى الهجرات العربية الكنعانية إلى شمال شبه الجزيرة العربية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام، واستقرت على الضفة الغربية لنهر الأردن، ووصل امتدادها إلى البحر المتوسط، وسُميت الأرض من النهر إلى البحر، «أرض كنعان»، وأنشأ هؤلاء الكنعانيون مدينة «أورسال» وقد اتخذ أبناء القبائل العربية الأولى من المدينة مركزاً لهم، «واستوطنوا فيها وارتبطوا بترابها، وهذا ما جعل اسم المدينة «بيوس».

وقد صدوا عنها غارات المصريين، وصدوا عنها أيضاً قبائل العبرانيين النائية في صحراء سيناء. كما نجحوا في صد الغزاة عنها أزماناً طويلاً.

ويقول الدكتور محمد رأفت عثمان عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر: المدينة المقصودة بتلك الآيات هي بيت المقدس أو القدس كما نعرفها نحن الآن وهي المدينة الوحيدة التي سماها الله من فوق سبع سموات ولم يسم القرآن غيرها، فالذي سمي المسجد الحرام والمسجد الأقصى المبارك هو رب العزة والجلال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم. سكن الأنبياء

ويضيف: وقد ذكرت القدس أو بيت المقدس أو الأرض المقدسة في فلسطين في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة كلها ارتبطت بأهلها الأرض المقدسة التي باركها الله لأنها كانت سكن الأنبياء والمرسلين وقد اتفق المؤرخون على أن الجبوسيين وهم من القبائل الكنعانية التي خرجت من الجزيرة العربية إلى فلسطين هم أول من أسس مدينة القدس، فقد تم اكتشاف قبور تعود إلى العصر البرونزي المتأخر سنة 3200 - 2000 قبل الميلاد، وسورها في العصر البرونزي المتأخر سنة 1550 - 1000 قبل الميلاد ويؤكد مؤرخون أن تحديد زمن بناء القدس غير معروف ولا يستطيع مؤرخ تحديده وبداية وجودها مرتبطة بالمسجد الأقصى الذي بني بعد المسجد الحرام بـ 40

كتبة الوحي

وثق به الرسول وأُسند إليه حلقات العلم

الأرقم أول دار للدعوة في الإسلام



كان الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم من الأولين السابقين إلى الإسلام، فقد كان إسلامه قديماً، وهو الذي استخفى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في داره والمسلمون معه، فكانت داره أول دار للدعوة إلى الإسلام.

ويقول الدكتور محمد متولي منصور - الأستاذ بجامعة الأزهر - هو عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكنيته أبو عبدالله، وروى الحاكم في ترجمته في المستدرک أنه أسلم سبع سبعة، وقيل بل عاشر من أسلم بمكة، وكان - رضي الله عنه - في السادسة عشرة من عمره يوم أسلم.

وذكرت كتب التراجم أن إسلامه كان على يد أبي بكر الصديق، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله، وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقبه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لأبائنا وأمهاتنا، فقال رسول الله: إني رسول الله أنعوك إلى الله عز وجل فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه أسلم أبو بكر فانتقل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأختين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ورضي أبو بكر وراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد عثمان بن مظعون وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا - رضي الله عنهم.

مركز الدعوة

عندما بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - نشر الإسلام اختار الدار التي يمتلكها الأرقم على جبل الصفا لقرابها من الكعبة لتكون مركزاً للدعوة ويجتمع فيها بالمسلمين سرا ليعلمهم القرآن الكريم وشرائع الإسلام خوفاً من بطش الكفار بالعصبة القليلة المؤمنة من الرجال الذين أسلموا بالخفاء، إذ كانت بعيدة عن أعين المشركين وتفكيرهم، وهي بمنزلة عن المترصين بالمسلمين في مكة، وبقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - مدة ثلاث سنوات يدعو الناس إلى الإسلام بشكل سري في دار الأرقم، وحين ازداد اضطهاد المشركين للنبى - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه، أخذوا يخفون فيها ويقيمون صلاتهم ومحادثاتهم السرية، ويتعلمون القرآن ويتلقون عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل جديد من الوحي ويتدارسه معهم ويأمرهم باستظهاره وفهمه، وفي هذه الدار أسلم كبار الصحابة وأوائل المسلمين حتى بلغوا أربعين فرداً، فخرجوا يجيرون بالدعوة إلى الله.

ذكر المؤرخون أن من أهم أسباب اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - لدار الأرقم مقراً له - عليه الصلاة والسلام - أنه كان من الذين يعرفون الكتابة والقراءة، واتخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - كاتباً حتى يتيسر له - عليه الصلاة والسلام - كتابة ما ينزل عليه فور نزوله ولا سيما أثناء وجوده في دار الأرقم.

كما أن الوثائق والصحف التي كتب عليها سور من القرآن الكريم وكانت متداولة بين القلة المسلمة في مكة كتبت في داره. وكان الأرقم مصدر ثقة للنبى - صلى الله عليه وسلم - ولذا أسند إليه مهمة القيام على حلقات العلم والتثقيف والذكر وقراءة القرآن الكريم التي كانت تدار في داره لسبقه في الإسلام وعدم انقطاعه عن مجلس الرسول - عليه الصلاة والسلام - وإتقانه التلاوة والعلم بملابسات الأحوال التي نزلت النصوص فيها، والفهم بمعاني القرآن والفاظه والمعرفة بمفاهيم الإسلام وشرائعه. وبعد انتشار الإسلام سميت دار الأرقم «دار الإسلام» لأن النواة الأولى التي تشكل منها الدين الخنيف كانت في هذا البيت المبارك الذي أوقفه الأرقم، غير أن أحفاده بعد ذلك باعوه لأبي جعفر المنصور.

واشتهر الأرقم - رضي الله عنه - بالحكمة والعقل والورع، وقال عنه البخاري: «له صفة»، وذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة فيمن شهد بدراً.

عده وورعه

ظهر عدله وورعه في الكثير من المواقف ويروى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - استشهده على واقعة شق القمر المبرية فيما أخرجه الحافظ أبو نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر»، «الفجر»، «I»، قال ابن عباس: اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن مائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، ونظار وهم كثير، فقالوا للنبى - صلى الله عليه وسلم - إن كنت صادقاً، فشق لنا القمر فرفقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قبيس ونصفاً على قبيس، فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن فعلت هل تؤمنون؟»، قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر وقد سلب نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قبيس، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - «صلاة» في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، فجلس الأرقم، وعاد إلى داره مطيعاً للنبى ومنفذاً لأوامره.

وصية

بقي الأرقم - رحمه الله - على عبده وجهاده في سبيل الله لا يبخل بماله ولا نفسه، ولما استشهد قرب أجله في عهد معاوية بن أبي سفيان، أوصى بأن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ومات سنة 55 هـ، وكان سعد غائباً عن المدينة آنذاك، فأراد مروان بن الحكم أمير المدينة أن يصلي عليه فرض عبيد الله بن الأرقم، فقال مروان: أبحس صاحب رسول الله لرجل غائب؟ ورفض ابنه عبيد الله بن الأرقم أن يصلي عليه أحد غير سعد بن أبي وقاص، وتبعه بنو مخزوم على ذلك، حتى جاء سعد، وصلى عليه.

شخصيات وألقاب

وما ينطق عن الهوى.. محامي الفقراء لم يعبد الأصنام في الجاهلية أبو ذر الغفاري يمشي ويموت ويبعث وحده



أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، ولد في قبيلة غفار بين مكة والمدينة، وقد اشتهرت بالسوط، كان يقول لا إله إلا الله في الجاهلية ولا يعبد الأصنام، قديم الإسلام، فقد أسلم بعد أربعة فاشماس، وأحد الذين جبروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة، وكان من كبار الصحابة عرف أبو ذر رضي الله عنه بالزهد في الدنيا غير متعلق بها لا يأخذ منها إلا كما يأخذ المسافر من الزاد، شديد

التواضع، يدافع عن الفقراء، ويطلب من الأغنياء أن يعطوهم حقه من الزكاة، لذلك سمي محامي الفقراء، قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما تغل الغبراء ولا تغل الخضراء على ذي لجة أصدق وأوفى من أبي ذر شبيه عيسى ابن مريم»، فقام عمر بن الخطاب، فقال يا نبي الله، أتعرف ذلك له، قال: «نعم فأعرفوا له».

كان أبو ذر الغفاري حريصاً على الجهاد رغم الصعوبات، وفي السنة التاسعة من الهجرة، كانت أيام عسرة وقبظ، قال عبد الله بن مسعود، لما سار رسول الله إلى تبوك، جعل لا يزال يتخلف الرجل فيقولون، يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه إن يك فيه خير فسيلحوا اليك وهم وإن يك غير ذلك فقد أراكم الله من»، حتى قيل، يا رسول الله، تخلف أبو ذر، وأباطا به بعيره، فقال رسول الله: «دعه»، إن يك فيه خير فسيلحوا اليك وهم وإن يك غير ذلك فقد أراكم الله من»، ويعدو النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، ويتأخر أبو ذر عن الجيش لبطء بعيره فيتكبر، ويحمل متاعه على ظهره، ليحلق بالنبي فخرج يتبعه ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازلهم ونظر ناظر من المسلمين، فقال يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق، فقال رسول الله: «كن أبا ذر»، فلما تأمله القوم، قالوا يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده». تحقق النبوة ففرض الدهر من ضربه، وضمت السنون الطوال وانتقل النبي إلى الرفيق الأعلى وتولى أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، لتتحقق نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما ذهب أبو ذر إلى الريدة 200 كم شرق المدينة المنورة، وجد أميرها غلاماً أسود عينه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما أقيمت الصلاة، قال الغلام لأبي ذر، تقدم يا أبا ذر، وترجع الغلام إلى الصفا، فقال أبو ذر، بل تقدم أنت، فإن رسول الله أمرني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً سوداً، فتقدم الغلام وصلى أبو ذر خلفه، وظل أبو ذر قميماً في الريدة هو وزوجته وغلامه حتى مرض مرض الموت فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه، إذا مت فأسلاني وكفاني، ثم احملاني، فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمشون بك، فقولوا، هذا أبو ذر. وافته لما مات فعطوا به ذلك، فاطلع ركب من أهل الكوفة، وفهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فما علموا به حتى كادت رعايتهم تطا سريره، فاستهل ابن مسعود عنه بيكي، ويقول، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يروح الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»، فنزل ابن مسعود فتولى دفنه. وفي رواية للبيهقي في دلائل النبوة، أن ما ذر بكت لما حضرته الوفاة أبا ذر، فقال لها، ما بيكيك، قالت، وما لي لا أبكي، وأنت تموت بفلاة من الأرض، ولا يد لك بدفنه، وليس عندي ثوب يسبك، فأكفك فيه، قال فلا تنكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر من أصحابه وأنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من أولئك نفر أحد إلا وقد مات في قرية أو جماعة، وإني أنا الذي أموت بفلاة والله ما كذبت ولا كذبت، لقد بشرها رضي الله عنه بمقدم من يعينها على دفنه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال متبئاً عن ذلك الذي يموت بفلاة بأنه «يشهده عصابة من المؤمنين». توفي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه بالريدة سنة 32 هـ / 652م، كما أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، يموت ابن ذر وحيداً، وكما أخبره بمقدم جماعة من المؤمنين يتولون تجهيزه ودفنه.